معهد حي الأمل قابس *** 4 آداب *** السنة الدراسية 2017 – 2018

الأستاذ الهادي عبد الحفيظ (أبو ناظم المرزوقي)

فرض مراقبة 2 في الفلسفة

الموضوع 1):

" بقدر ما يكون الرّمز علامة ضامنة للتّواصل، بقدر ما يعمل كسلطة هيمنة على الإنسان" بيّن وجاهة هذا الموقف؟

الموضوع 2):

هل في تحقيق "حدّ أقصى" من الاتّصال ما يضمن التّماثل بين البشر؟

النصّ:

يمكننا أن نصحّح التّعريف الكلاسيكي للإنسان ونوسّعه. فرغم الاعتراضات التي وجّهتها له النزعات اللاعقلانية المعاصرة، فإنّ تعريف الإنسان باعتباره حيوانا عاقلا لم يفقد قوّته. فالعقلانية تمثّل السّمة المميّزة لكلّ نشاط إنساني... لقد أقيم في الغالب تماثل بين اللغة والعقل، أو منبع العقل ذاته، لكن من الواضح أنّ هذا التعريف للإنسان لا يغطّي الحقل العلمي بأكمله. فهو يمثّل جزءا من كلّ. فإلى جانب اللغة المفهومية ثمّة اللغة الانفعالية، وإلى جانب اللغة المنطقية والعلمية توجد لغة المخيّلة الشّعرية، فاللغة في الأصل لا تعبّر عن الخواطر والأفكار بقدر ما تعبّر عن المشاعر والانفعالات.

ليس العقل المفهوم المناسب الذي يمكّننا من فهم أشكال ثقافة الإنسان في ثرائها وتنوّعها بل إنّ كلّ هذه المظاهر هي أشكال رمزيّة. وهكذا فبدلا من تعريف الإنسان بأنّه حيوان عاقل، يجب تعريفه بأنّه حيوان رامز، وهكذا يتسنّى لنا تعيين خاصّيته المميّزة وفهم السبيل الجديد الذي انفتح أمامه وهو سبيل الحضارة.

كاسيرر «محاولة في الإنسان» ص 44-45

حلّل النصّ في صيغة مقال فلسفي مستعينا بالأسئلة التالية:

- ماهي الاعتراضات على تعريف الإنسان بكونه حيوانا عاقلا؟
- لماذا لا يحقّق التّماثل بين اللغة والعقل فهما للإنسان؟
- أيّ معنى للتعريف الجديد للإنسان بكونه حيوانا رامزا؟
- ماهي تبعات هذا التعريف الجديد للإنسان على الفلسفة والعلوم الإنسانية؟

إصلاح الموضوع الأوّل:

الموضوع: "بقدر ما يكون الرّمز علامة ضامنة للتّواصل بقدر ما يعمل كسلطة هيمنة على الإنسان" بيّن وجاهة هذا الموقف؟

التمهيد: الإشارة إلى المفارقة التي يكشف عنها الرّمز في حياتنا ومن خلال ما يقدّمه من وظائف للثقافة الإنسانية إذ يؤسّس للتّواصل وتقريب الناس بعضهم من بعض من ناحية ويعمل على الهيمنة عليهم وتنميط سلوكهم وإخضاعه من ناحية أخرى.

أو الانطلاق من واقع الرّموز وما تعمل عليه من ناحية بحياد على نقل ثقافتنا وتقريبها للآخرين وارتدادها سلاحا ضدّنا يحكم سلوكنا ويوجّهنا

طرح الإشكالية: أيّ مكانة للرّموز في علاقتها بالإنسان هل هي أفق للتّواصل وتقريب الناس بعضهم من بعض تحقيقا للكونيّ الإنساني أم إخضاعا للإنسان لسلطة الرّمز ذاته؟ وما الذي يفسّر هذا التوتّر بين ضمان التّواصل من ناحية والسيطرة على الإنسان من ناحية أخرى؟ وما السبيل إلى تحويل الرّمز عن أن يكون سلطة قهر وإرغام وهيمنة على الإنسان؟ وهل يمكن للإنسان ان يتحرّر منه؟

التحليل: تحديد المفارقة التي يكشف عنها الموضوع والاشتغال عليها، في بيان التوتّر بين تحقيق الرّمز للتّواصل من ناحية وهيمنته على الإنسان من ناحية ثانية وذلك بـ:

• تعريف مفهوم الرّمز بما هو تعبير مكثّف عن الشيء صورة الإحساس ومعناه علامة ذهنية تصوّرية تحيل على معنى الشيء وصورته. فهو علامة من وجهين مرئي ولامرئي يحقّق الاتّصال والتعارف بين شخصين أو شيئين لذا كان الرّمز أداة ضامنة للتّواصل sumbollein وصل، قرن، جمع ...

• تعريف مفهوم التّواصل بما هو يحيل على حدوث المشاركة في فعل التقارب والتّوادد بين شخصين متنافرين أو متباعدين ليقيم علاقة ذات مضمون نفسي أو عاطفي. على أنّ التّواصل أشمل من الاتّصال إذ التّواصل فعل مزدوج رغبة مضاعفة من طرفين في الاتّصال. بينما الاتّصال رغبة من طرف واحد وإن كان دلالة المعنيين اليوم واحدة في أبعاد كثيرة فلسفية وسوسيولوجية وسيميولوجية.. إلخ إذ كانت الرّموز أنماط عيش وسلوك تتجلّى في اللباس واللغة والطقوس وفي الصور.. ينظر لها بما هي رسائل إبلاغية يندمج من خلالها الفرد طوعا في عالم الاخرين.

• الاشتغال على التوتّر بين ما توفّره الرّموز من قدرة على التّواصل وتنامي الإحساس بتحوّلها إلى أدوات هيمنة على الإنسان: ببيان أنّ:

• الرّمز علامة ضامنة للتّواصل من خلال نماذج من اللغة أو الصورة أو المقدّس (ملاحظة يجب اعتماد مثالين من الرّموز على الأقلّ وما زاد على ذلك يعتبر عنصر تشجيع)

• اللغة: بما هي منظومة علامات واستعارات نستحضر من خلالها الأشياء وتحيل عليه والقدرة الرمزية للغة هي التي تمنح الفكر تمثّل الأشياء وتعطي القدرة على الحوار مع الآخر. واللغة مؤسّسة اجتماعية (دي سوسير) واللسان إنشاء اجتماعي (بنفنيست) لذا كانت العلامة اللغوية أداة التفاهم وشرطه بين البشر. (هوسرل) اللغة حاملة للمعنى وللوجود الإحساس بوجودنا وبوجود الآخر "فلا أقول أنا إلاّ إذا كان ثمّة أنت في كلامي" (بنفنيست) لذا كانت اللغة أداة التّواصل مع الذات وإعلان وجودها (يكون أنا من يقول أنا).

• المقدّس: تجلّي للمطلق للكائن الأرقى للمفارق رمز الوجود ومبدأه يتصوّره المؤمن في الذهن أو في المخيّلة عبر أشكال غدت أسطورية. تتأسّس من خلالها علاقة الإنسان بالإنسان في المجتمع وتؤكّد وحدة الجماعة وتواصلهم فالمقدّس صورة تخييلية في ذهن المتديّن لا يمكن تمثّلها واقعيا إلاّ في موضوع حسّي. (انهيار العلامة في موضوع فوق طبيعي وفوق ثقافي) ريكور. فهو محدّد للهوية لجماعة ما لذا كان عامل وحدة واتّصال بين جماعة يحملون نفس الأفكار والقيم التي سمّاها دوركايم وعي جمعي لذا ليس ممكنا تصوّر مجتمع من دون دين كما يقول دوركايم (يمكن تقديم أمثلة من بعض العادات والأفكار لبعض المجتمعات).

• الصورة: رسم ذهني أو تخيلي لشيء مستوحى من الواقع أو يحاكي الواقع ولكونها تعتمد المرئي والحسّي الحركي اليوم (عصر الشاشة) أصبحت الصورة المشهد هي موطن الحقيقة ومسكنها (الصورة آمرة أكثر من الكتابة وهي تدعو إلى حكم القوّة "بارط.. تحوّل الصورة إلى فرجة في عصر المشهد منحها مزيدا من القوّة بعد الثورة الاتّصالية في السينما والتلفزيون (اندماج الصورة بالحركة) منحها حكم القوّة تحوّلت إلى أداة الاتّصال الأهمّ.

الوقوف على الطابع الإيجابي للرّموز وما تؤدّيه بنجاح من ربط صلة الإنسان بالإنسان وتأكيد وحدته خاصّة مع تطوّر المجتمعات والثورة الاتّصالية الحديثة التي راهنت على الصورة والمرئي في تبليغ الحقيقة.. ونستخلص أنّ هذا التطوّر الرقمي كان يفترض أن ييسّر حياة الناس ويقرّب بعضهم من بعض غير أنّ الرّموز لا تكتمل حقيقتها إلاّ متى أدركنا وجهها الآخر السلبي حيث تعمل الرّموز في الوقت نفسه على الهيمنة على الإنسان وإخضاعه لسلطتها.

الوقوف على تحوّلات الأنظمة الرّمزية إلى أدوات هيمنة على الأفراد وذلك بـ:

تحديد دلالة الهيمنة بما هي التحكّم في الإنسان وتحويله إلى أداة في مشروع أو تحويله هو نفسه إلى برنامج سلطوي يتمّ توجيهه عن بعد فتتعطّل لغة الحوار ويتحوّل الإنسان خاضعا للرّموز التي أنتجها.

مثلا: في

اللغة: أصبحت خطرا على الإنسان عندما تكون الكلمة وسيلة للفعل في الآخر حيث تمارس اللغة إكراها بنيويّا يصعب معه التمييز في عملية التواصل بين المحتوى والشكل. ذلك أنّ هذا التعدّد شكلا ومضمونا يؤدّي إلى تشتّت المعنى وتعثّر المقاصد وسوء التفاهم وقد يؤدّي إلى العزلة فتعدّد الألسنة مثلا قد يؤدّي إلى تعطّل الحوار. وهو ما عبّر عنه نيتشه: "الإنسان صانع اللغة ولكنّه أوّل ضحاياها". إذ كثيرا ما تقف الألفاظ حجابا سميكا بين الإنسان وذاته وبين الإنسان والعالم وهو ما يؤكّده برغسون في عدم التجانس بين اللغة وحياة الذات، قطيعة تبدو في الواقع قطيعة مزدوجة فهي قطيعة بين الأنا وعالمه الداخلي وبين الأنا والآخر. فبدل أن تحقّق إنسانية الإنسان عبر تمكينه من السيطرة على الأشياء أصبحت وسيطا غير شفّاف بينه وبين الأشياء وبينه وبين ذاته تجعله يعيش خارج عالم الأشياء وخارج ذاته كما يقول برغسون: "فاللغة قاصرة بطبعها". وهي لا تعدو أن تكون أداة من أدوات أخرى يتوسّل بها الإنسان لتحقيق مصالحه كما يمكن أن تتحوّل إلى أداة تضليل وخداع بل يمكن أن توظّف للسيطرة على الإنسان وسلب هويته كما هو شأن اللغة المستخدمة في الدعاية الثابتة والايديولوجية وفي الإشهار. وهو ما عبّر عنه كاسيرار في قوله:" قد تلفّح بالأشكال اللغوية والصور الفنية
والرّموز الأسطورية أو الشعائر الدينية حتّى أصبح لا يرى شيئا ولا يعرف شيئا إلاّ بواسطة هذه الوسائل المصطنعة".

الأسطورة: كنظام رمزي يكرّس العزلة والوحدة للإنسان. فرغم أهميّة وقيمة الأسطورة في إنتاج المعرفة البشرية إلاّ أنّ التفسير الأسطوري قد انحصر أمام التقدّم العلمي خاصّة منذ الثورة الكوبرنيكية فأصبحت بدورها وسيطا في جعل الإنسان مغتربا في عالم التقدّم والتطوّر.

حضارة الصورة: لم تعد تحقّق الكونية أو القرية الكونية الصغيرة المنفتحة إنّما وعلى عكس ذلك باتت تحقّق مظاهر العزلة والاغتراب. فالفرجة، تمثّل عند ديبور، رؤية كليّة للحياة، وهي أساسا ترسانة من الصور المؤثّرة على المشاهد، ممّا جعل ديبور يتحدّث عمّا سمّاه بالاستبعاد المعمّم الذي يمثّل وجها من وجوه الاغتراب. اغتراب له قدرة تأثيريّة بالغة تستمدّ من الأساس الاقتصادي بحيث تطوّع الصورة والكلمة لتشكيل الوعي الزائف. إنّه تأثير يغري الجموع صنعه مخطّط الاقتصاد الليبرالي للتّحكّم في صفوف الناس وإبعادهم عن مشاغلهم الحقيقية عبر التشبّه بسلوك المشاهير والنجوم الذين يتصدّرون الفرجات الإشهارية. وبقدر ما تعتمد الفرجة أنواعا من الصور الباهرة وأشكال الترفيه المغرية، يتحوّل الإنسان المستهلك للسّلع إلى مستهلك للأوهام، والصورة التي كانت في الأصل تبلّغ الدلالة وتحدث التواصل تحوّلت إلى عنصر تأثير مفسد للتواصل الحقيقي ومعطّل للحوار بين الذوات يقول ديبراي: "إنّ الصورة التي ترينا العالم هي بالذات ما يمنعنا من النظر إليه".

o استنتاج أنّ: التواصل اليوم قد استحال اتّصالا من جانب واحد تتحكّم فيه لوبيات سياسية وإعلامية وتجارية تخدم وفق أجندات مصلحة خاصة بها.

o تحوّل الإعلام إلى سلطة رابعة مؤثّرة وخطيرة جدّا لم تعد تكتفي بالتأثير في الرأي العام بل بصناعته.

o الثورة الاتّصالية الرقمية ساعدت على خلق عقول طيّعة قابلة للبرمجة والتحكّم

o تحوّل الرّموز إلى سلطة تنمذج الرغبات وفق ثقافة استهلاكية تجاري أسلوب العيش المعاصر وتخلق إنسانا طيّعا.

o انزياح القيم الإنسانية لصالح قيم نفعية وضعية تشرّع للمصلحة.

نستنتج أنّ الأنظمة الرّمزية عمّقت الإحساس بالعزلة وعطّلت التواصل إذ غلبت المصلحة فتحوّلت إلى أدوات لإخضاع الإنسان واستعباده.

كما خلّف واقع الانخراط في العولمة اليوم إلى نظام من المصالح يدعو إلى صراعات ويستخدمها ويكرّس الهيمنة ليؤسّس ثقافة سلطوية تميّز بين من يملك الوسائل التكنولوجية وبين من يستعملها.

النقاش: المكاسب:

- التحرّر من وهم الاعتقاد في قدرة الرّموز على تحقيق التّواصل الذي تسوغه ثقافة العولمة
- التظنّن على اعتبار التقدّم الاتّصالي قد حقّق للإنسان إنسانيته
- الإقرار بالبعد الآخر السلبي للأنظمة الرمزية وما تشهده من تحوّلات خطيرة على الإنسان والمجتمعات.

الحدود:

- بيان أنّ التحوّل الذي عرفته الرّموز من أدوات اتّصال إلى أنظمة هيمنة كان بأشكال التوظيف التي خضعت لها وبتحوّلها من رموز إلى أنظمة ومؤسّسات.
- وأنّ التوظيفات التي عرفتها الأنظمة الرمزية هي التي حادت بها عن مهمّتها الإنسانية إلى مهمّات ومشاريع سلطوية سياسية وإعلامية وتجارية تهدف إلى تحقيق المنفعة لا الحوار.
- التخلّص من هذا التوتّر بين رغبة التواصل ورغبة الهيمنة مشروط بعقلانية التواصل
- الدعوة إلى الخطاب الفلسفي الرافض لكلّ فعل هيمنة وتأسيس ايتيقا الحوار
- إخضاع الرموز إلى أنظمة رقابة قانونية ودستورية تخلصّها من الاحتكار والتوظيف الايديولوجي.

الخاتمة: الانتهاء إلى أنّ العالم اليوم يشهد أزمة حقيقية لا يمكن إنكارها وقد أدّت هذه الأزمة إلى تدهور قيمة الإنسان لأنّ كلاّ من العنف المادي المباشر والعنف الرمزي يشكلاّن خطرا حقيقيا على الشعوب وهو ما يجب اتّخاذ إجراءات تجاهه. وهذا الخطر يشكّل دعامة من دعائم أزمة التواصل التي يجب تجاوزها للدفع بالبشرية إلى النماء والقبول بالاختلاف كعامل إثراء.

إصلاح الموضوع الثاني: هل في تحقيق "حدّ أقصى" من الاتّصال ما يضمن التماثل بيت البشر؟

مرحلة فهم السؤال:

حدّ أقصى من الاتّصال: مفهوم استعمله عالم الانتربولوجيا كلود ليفي ستراوس للتدليل على حال المجتمعات البشرية في مرحلة تقدّمها وانفتاحها حيث نتمكّن في نقطة محدّدة من العالم من معرفة دقيقة بكلّ ما يجري في الأجزاء الأخرى من العالم وقد يطابق حال مجتمعاتنا اليوم زمن الانفجار الإعلامي والاتّصالي عصر العولمة حيث لم يعد بإمكان أيّ مجتمع أو أيّة ثقافة أن تنغلق على ذاتها.

التماثل بين البشر: أي التشابه والتشارك في منظومة القيم التي يتمّ الترويج لها من خلال الأنظمة الرمزية. الخطاب، المقدس، الصورة الخ حيث تنتفي الخصوصيات الفردية وتتعوَم داخل كونية إنسانية قد يغدو فيها الإنسان مهدّدا باحتمال تحوّله إلى مجرّد مستهلك لأيّ شيء من أيّ نقطة من العالم ما يفقد أصالته.

التمهيد: الإشارة إلى ما يكشف عنه الانفجار الإعلامي والاتّصالي من توتّر بين انفتاح قسري للمجتمعات والثقافات قد تذوب الخصوصيات الثقافية بدعوى الكونية لتصنع إنسانا ذو بعد واحد وبين اصطدام بقيم مغايرة قد لا تزيد إلاّ في انغلاق المجتمعات وتقوقع الثقافات على [بعضها] نفسها قد ينتهي إلى التعصّب أو الصّدام.

طرح الإشكالية:

هل الإفراط في الاتّصال اليوم يفضي إلى انفتاح المجتمعات وتماثل البشر بما من شأنه أن يذوّب الخصوصيات الفردية أم على عكس ذلك انفتاح ينغلق على خصوصيات محليّة قد تعمّق الاختلاف والتمايز بين البشر؟ وهل الرّموز قادرة في هذه الثورة الاتّصالية فعلا على توحيد البشر وتماثلهم؟ وأيّ تماثل هذا الذي يحققّه الإفراط الاتّصالي اليوم؟

التحليل:

لحظة أولى: تحليل الموقف الذي يعتبر أنّ الافراط في الاتّصال ضامن للتماثل بين البشر وذلك بـ:

• تعريف مفهوم الحدّ الأقصى من الاتّصال بما يفيد انفتاح المجتمع أو الثقافة على ثقافات أخرى عبر تقنيات الاتّصال المعاصرة خاصّة بعد الثورة الاتّصالية التي أصبحت الصورة أو المشهد أساسية فيها للإقناع.

• تعريف مفهوم التماثل بما يفيد التجانس أو التشابه أي الرغبة في تحويل البشر إلى كائنات منمذجة طيّعة خاضعة قابلة للاستهلاك يتمّ التحكّم فيها عن بعد وحيث تلعب الدعاية والإعلام دور الموجّه والمتحكّم. أو بتحوّل الإنسان فيها إلى إنسان ذو بعد واحد.

• بيان أنّ تحقّق التماثل يتمّ عبر أنظمة رمزية (الخطاب، الصورة) لما تلعبه من دور التأثير والقدرة على الإقناع.

مثلا الدور الخطير للغة في التأثير وسحر الدعاية والدمغجة التي يقدمها الخطاب الإشهاري. حيث تمارس اللغة "إكراها بنيويا" يصعب معه التمييز، في عملية التواصل، بين المحتوى والشكل كما بيّن رولان بارط.

أو كيف تتحوّل الصورة في نظام المشهد إلى أداة تحتكر قول الحقيقة بعد انزياح الخطاب التقليدي في "عصر الشاشة " لتدفع نحو "استبعاد معمّم" بعبارة دي بور ما يمثّل وجها من وجوه الاغتراب. حيث تطوّع الصورة والكلمة لتشكيل الوعي الزائف. والتحكّم في البشر بإبعادهم عن مشاغلهم الحقيقية عبر التشبّه بسلوك المشاهير والنجوم الذين يتصدّرون الفرجات الإشهارية.

• الإشارة إلى مظاهر التماثل بين البشر التي يمكن أن يحقّقها التواصل في حدّه الأقصى مثل التقليد ومحاكاة سلوك المشاهير في السلوك أو اللباس أو طريقة العيش.. أو الرغبة في التميّز وفي ابتغاء الأفضل أو حبّ الظهور.. مع التأثير الذي تمارسه وسائل الاتّصال الحديثة (التلفزيون، الانترنت، مواقع التواصل) أو مناسبات الحشد (المهرجانات، الاحتفالات، الفضاءات العمومية الكبرى، المناسبات الرياضية ...الخ) تدفع إلى تبنّي سلوكأو فعل او مظهر رغبة في التماثل أو الاندماج أو مسايرة الحشد...الخ

استنتاج أنّ التطوّر القصووي للاتّصال وفي مأسسة الرّموز خاصّة حين يتحوّل إلى برنامج "نيوليبرالي" من شأنه أن يعمل على تنميط سلوكنا ومظهرنا غير أنّ الخشية أن ينتهي الأمر إلى تنميط للفكر والوعي فلا نغنم غير الاغتراب والاستعباد والوعي الزائف.

لحظة ثانية:

تحليل الموقف الذي يعتبر أنّ الإفراط في الاتّصال من شأنه أن يعمق الفرقة بين الناس: وذلك بـ:

• التظّنن على اعتبار الثورة الاتّصالية الحديثة لا يمكن أن تصدر إلّا عن برامج للهيمنة والتوجيه ضمن مشاريع نيوليبرالية، وإن كان هذا التوجيه وهذا التحكّم موجود فعلا ضمن أجندات مشاريع "العولمة" إلاّ أنّه لا يخفى على أحد ما قدمّته وتقدّمه الثورة الإعلامية المعاصرة إن على مستوى تقريب المسافات بين البشر أو ربط الصلة بين الشعوب والثقافات أو حتّى على تيسير مسالك المعرفة والعلوم وتنمية اقتصاديات الدول النامية ...

• اعتبار أنّ الانفتاح الذي فرضته الثورة الاتّصالية لم يخلق سوى مزيد من التشظّي والانغلاق والتقوقع على الذات ما من شانه أن يؤدّي إلى التمايز الذي:

= يغذّي ثقافة التعصّب والكره والعنف

= يؤسّس للفردانية وحبّ الذات

= يغلّب المصلحة الخاصّة

= يحوّل الرموز إلى منظومات للتمترس بالهويات الخصوصية

ذلك أنّ تعدّد اللغات مثلا يؤدّي إلى تشتّت المعنى وتعثّر المقاصد وسوء التفاهم وقد يؤدّي إلى العزلة فتعدّد الألسنة مثلا قد يؤدّي إلى تعطّل الحوار. وهو ما عبّر عنه نيتشه: "الإنسان صانع اللغة ولكنّه أوّل ضحاياها".

كذلك المقدّس رغم أهميته وقيمته في إنتاج المعنى لوجودنا فقد أصبح بدوره أداة في اغتراب الإنسان وذلك بعزله في دوائر قيمية ضيّقة باسم المحافظة على الهوية حتّى ليغدو المقدّس "أفيونا للشعوب" كما قال ماركس أو "عصابا جماعيا" بعبارة فرويد.

الصورة: لم تعد تحقّق الكونية أو القرية الكونية الصغيرة المنفتحة إنّما وعلى عكس ذلك باتت تحقّق مظاهر العزلة والاغتراب. يقول ديبراي: "إنّ الصورة التي ترينا العالم هي بالذات ما يمنعنا من النظر إليه".

o استنتاج أنّ: التواصل اليوم قد استحال اتّصالا من جانب واحد تتحكّم فيه لوبيات سياسية وإعلامية وتجارية تخدم وفق أجندات مصلحة خاصة بها.

o الرموز بدل أن تحقّق إنسانية الإنسان عبر تمكينه من السيطرة على الأشياء أصبحت وسيطا غير شفاف بينه وبين الأشياء وبينه وبين ذاته تجعله يعيش خارج عالم الاشياء وخارج ذاته.

o تحوّل الإعلام إلى سلاح خطير للهيمنة لم يعد يهتمّ بتحقيق التماثل أو التمايز بين الناس بقدر ما ينشغل بتنفيذ أجندات جيو/ سياسية لأباطرة المال والتّجارة.

o الثورة الاتّصالية الرقمية ساعدت على خلق عقول طيّعة قابلة للبرمجة والتحكّم.

إصلاح النصّ:

التمهيد:

الإشارة إلى ما يكشف عنه تعريف الإنسان اليوم من التباس يحتاج مراجعات أصبحت تدعونا أكثر من أيّ وقت مضى إلى الانزياح عن التّعريف الكلاسيكي له كـ "حيوان عاقل" على ضوء ما توصّلت إليه الدراسات في العلوم الإنسانية نحو تعريف جديد له أكثر صدقيّه وفي هذا السّياق يأتي تعريفه في هذا النصّ لكاسيرر بكونه حيوانا رامزا.

أو الانطلاق من واقع هيمنة الدراسات العلمية على فهمنا للإنسان ممّا يدعو إلى تبرير الفهم الأداتي له باعتبار أنّ الرّمز أداة الإنسان الخصوصية ما يبرّر تعريفه من خلالها كما يطرح ذلك كاسيرر في هذا النصّ.

– إشـكالية النصّ:

ما الإنسان هل هو كائن عاقل أم حيوان رامز؟ وما الذي يبرّر انزياحنا عن التّعريف الكلاسيكي الفلسفي للإنسان الذي يحدّد كينونته في العقل إلى تعريف أداتي يحدّد ماهيته في قدرته على إنتاج الرّموز؟

وإلى أي مدى يمثّل الجهاز الرّمزي علامة مميّزة للوجود الإنساني؟

وماهي التبعات الفلسفية والإيتيقية لهذا التعريف الجديد على فهم حقيقي للإنسان؟

التحليل:

تحليل أطروحة النصّ القائلة بأنّ التعريف الكلاسيكي للإنسان بما هو كائن عاقل لم يعد يستوفي حقيقة الإنسان نحو تعريف أداتي أكثر أهمّية له بما هو حيوان رامز:

وذلك بـ:

- الوقوف عند دلالات تعريف الإنسان بكونه حيوانا عاقلا والاعتراضات العلمية على هدا التعريف:
- اعتبار العقل خصوصية ماهوية وأنطولوجية للإنسان تميّزه عن باقي الكائنات (يمكن هنا العودة إلى التعريف الأرسطي التقليدي وحججه على ذلك)
- اعتبار الفعالية العقلية المنتجة للكلام واللغة معا أساس القدرة المعرفية للإنسان (يمكن هنا الانفتاح على القراءة الديكارتية لعلاقة اللغة بالفكر)

الاعتراض على هذا التعريف:

- من وجهة نظر فلسفية: اعتراض ديكارت المنطقي على التعريف الأرسطي (إنّ عبارة حيوان وعبارة عاقل تحتاج بدورها تعريفا)
- من وجهة نظر علمية: تعريف الإنسان بكونه كائنا عاقلا لا يغطّي الحقل العلمي كلّه فهو جزء من كلّ فللغة علمها علم اللسانيات لم يعد يكتفي بالنظر للغة بما هي الوجه الظاهري للتفكير بل

للغة خصوصياتها والعلامة اللغوية دال ومدلول. كما اللغة لم تعد لغة العقل بل ثمّة لغة منطقية ولغة مفهومية ولغة مجازية ولغة انفعالية.. الخ وهده الأصناف كلّها تتحدّد بالرّمز أكثر من تحدّدها بالفكر. من منظور الانتربولوجيا وعلم السيمياء اللغة أداة لتمثّل الرمز في تجلياته المتنوّعة ولم نعد نتحدّث عن لغة منطوقة فقط بل اللغة دالّة في مظاهر عديدة من حياة الإنسان حيث يظهر الرّمز حاملا للمعنى. (رولان بارط، هيلمسليف، بورديو، الخ)

استنتاج:

- اللغة لا تعبّر في الأصل عن الخواطر والأفكار بقدر ما تعبّر عن المشاعر والانفعالات (ضيق دائرة المعنى عن الخطاب يفتح المجال للحديث عن عجزها عن التّعبير حتّى عن الانفعالات والمشاعر، برغسون ونيتشة)

في مقابل ذلك بيان أنّ الإنسان "حيوان رامز":

- العقل لم يعد المفهوم المناسب الذي يمكّننا من فهم أشكال ثقافة الإنسان في ثرائها وتنوّعها.
- تنوّع أشكال الثقافة المادية واللامادية للإنسان هي نتاج الرّمز
- الرّمز بما هو أداة الإنسان الوحيدة في ربط الصلة بمن حوله وتأكيد ذاته كإنسان وإضفاء المعنى على وجوده. (بنفنيست، نيتشة، بورديو)
- رغم كونه كائنا من كائنات الطبيعة، إلاّ أنّ الإنسان يتحرّر من سلطة الطبيعة وقوانينها بإبداعه لمنهج جديد يتحكّم به في المحيط هو الجهاز الرّمزي.

يتدخّل هذا الجهاز ومن خلال عمل الفكر في العلاقة بين الجهاز المستقبل والجهاز المؤثّر، ممّا يؤخّر الاستجابة لديه مقارنة مع استجابة الحيوان التي تأتي فورية وآنية لخلوّ الوعي فيها.

- اعتبار الرّمز وحده صانع الحضارة الإنسانية في أبعادها المتنوّعة (التأكيد على الطابع الأداتي. الوضعي لتعريف الإنسان).

استنتاج:

يعيش الإنسان في عالم رمزي من خلال تعدّد أشكال الجهاز الرّمزي التي تختزل تجارب الإنسان وتتقدّم به نحو الأمام. ولذلك وجب حدّ الإنسان بالرّمز وليس بالعقل والنطق.

تعريف الإنسان بالأداة التي يبدع من خلالها وجوده: الرّمز يتوافق مع المراجعات العلمية لحدود التعريف الفلسفي الكلاسيكي.

المكاسب:

- تثمين الدعوة إلى مراجعة التعريف التقليدي للإنسان بما هو كائن عاقل بموجب المراجعات العلمية للإنسان وخاصّة العلوم الإنسانية التي توفقّت باعتماد منهج أداتي إلى مقاربة جديدة

للإنسان تخلّت عن كونه مجرّد كائن مفكّر إلى كونه كائنا فاعلا ونشيطا وأنّ جوهر هذا النشاط هو فعاليته الرمزية.

- التحديد التقليدي للعقل في علاقته باللغة يدعو إلى مراجعته على ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة وتنوّع أشكال الخطاب.
- الانتهاء إلى أنّ غاية هذه الفعالية الرمزية هو إضفاء المعنى على وجود الإنسان وهذا ما يمنحه الأحقّية بالتميّز عن الحيوان وليس بمجرّد العقل والتفكير
- التفطّن إلى رهان المشكل المتمثّل في تخليص الإنسان من أشكال الخطاب الفلسفية التقليدية والدعوة إلى تحريره على ضوء مناهج العلم الحديث (المنهج الأداتي، المنهج التجريبي، المنهج الكمّي. إلخ)

الحدود:

- الإنسان يظلّ كائن الأبعاد المتعدّدة الذي لا يمكن أن يختزله تعريف، فلا هو طبيعة ثابتة ولا هو تاريخ متحوّل بل كلّ لا يقبل التّجزئة
- خصوصية العقل في الإنسان ثابتة تثبتها الدراسات العلمية السيكولوجية المعاصرة بعيدا عن أي توصيف ميتافيزيقي. فمفهوم الوعي لا متغيّر بنيوي في فهم الإنسان رغم تنوّع الدراسات العلمية (العلوم العرفانية مثلا)
- الرّمز بعد من أبعاد الكينونة الإنسانية وليس هو البعد الوحيد ذلك أنّ الرّمز لا يفيدنا بشيء عن جوهر الإنسان ذاته في فهم انفعالاته وغرائزه وطبيعته البيولوجية..

الخاتمة:

الانتهاء إلى أنّ حقيقة الإنسان تظلّ مطلبا الفلسفة والعلوم على حدّ السواء وأنّ الحقيقة وإن اكتملت تصبح ضربا من الوهم لذا فإنّ قدر الإنسان أنّ يظلّ باحثا عن حقيقة ذاته كالظمآن يسعى إلى الماء ولا يدركه. حتّى قال ألكسي كاريل "إنّ الإنسان هو ذلك المجهول".